

العالم الأخرى وممارسة الموت

إيريك فوجلين

إيريك فيوجلين هو الفيلسوف الألماني المولد، والمتخصص في الفلسفة السياسية والفلسفة الدينية، ومن المنتمين للمدرسة الأفلاطونية في الفلسفة. يعتقد فوجلين أن الفوضى السياسية هي تعبير عن أزمة روحية عميقة على مستوى الأفراد المجتمع. قد اهتم فوجلين بدراسة الجذور الدينية للحركات الشمولية (النازية والفاشية والشيوعية). ورغم رحيله عام ١٩٨٥، لا يزال فكره مصدر الهام لكل من يبحث عن فهم العلاقة بين الدين والسياسة، ودور الدين في عالمنا المعاصر، حيث يكون مصدر نزاعات في بعض الأحيان، ويسهم في إرساء السلام في أحيان أخرى. النص الذي نحن بصدد ترجمته، هو ضمن الفصل ٢٧ من كتاب " تأملات السيرة الذاتية"، من إصدارات جامعة ميسوري، ٢٠١١. وحسب معرفتنا، هذه أول محاولة للترجمة إلى العربية للفيلسوف فوجلين. رينو فابري، مدير التحرير

وبالتالي تلك الحركة المتجهة إلى ما وراء الاطار الآتي للحقيقة، يضخ مزيدا من التوتر داخل النظام الوجودي، بحيث تتجه الحياة بطريقة تؤدي نحو حالة من الديمومة (الخلود). من المؤكد أن القليل من الناس هم على استعداد لتكييف حياتهم في هذا الإتجاه، والقلة القليلة تحلم باختصار الطريف إلى الكمال مباشرة في هذه الحياة. وبالتالي حلم تحول الحقيقة إلى حالة الكمال الخالدة في هذا العالم، أمر ثابت في التاريخ، شريطة أن تتمايز المشكلة. وقد توقع المفكرون اليهود الملمون بالأحداث الجسم في آخر الزمان، خلال الأمبراطوريات المتتالية التي كانوا ضحاياها، من ضمن تدخل العناية الإلهية، مما يفضي إلى المجد حين تنتهي تلك الممالك. ومن هذا المنطلق، ينتظر بولس المجيء الثاني للمسيح، ولا يتراجع عن الحلم إلى تحت تأثير المؤمنين بموت

عند ما تصبح الحقيقة متباينة الجزئيات، و تشكل كل واحدة من تلك الجزئيات، حقيقة مستقلة عبر التاريخ. وإحدى الأفكار الهامة التي توصل إليها الفلاسفة، فضلا عن الأنبياء بني اسرائيل والمسيحيين الأوائل، هو أن الحقيقة تتطور بحركة موجه نحو خارج إطارها الأصلي الآتي. وبالنسبة للأشخاص، لا يمكن أن يتم هذا التطور إلا عبر السعي للخلود. وقد يكمن الاكتشاف الأكبر للفلسفة الكلاسيكيين، في ادراك أن الإنسان لا يفنى، بل هو في تطور مستمر نحو الخلود. وتعتبر عملية السعي للخلود جوهر وجود الفيلسوف، والتجربة المحورية لكل من أفلاطون وأرسطو. كذلك كانت التجربة البرزة والرائدة لبولس، وذلك من خلال اكتشاف تطور الحقيقة بحركة تتجاوز الإطار الآتي الفاني، للتطور إلى حالة خلود، نتيجة للمنة الإلهية.

ترجمة إلى العربية : دكتور محمادي علي محمادي



فكارل ماركس على سبيل المثال، توقع تحول الإنسان إلى إنسان خارق، من خلال "التلوث العميق بالثورة العنيفة"، حسب مفهوم ماركس نفسه، وعندما لم يتحقق ذلك، حدد عام ١٨٤٨، كفترة انتقالية سماها دكتاتورية البروليتاريا. ورغم هذا التوجه، ذلك يعتقد ماركس بأن الإجراءات الخارجية، مثل تملك الدولة لوسائل التصنيع والإنتاج، لن يحقق وحده التحول المرجو. وهذا الأمر ما زال مسلما به حتى اليوم، لدى الطبقة العليا لمفكرين الماركسيين.

إن إنشاء حكومة مركسية يمثل حدثا خارجيا، يفترض، أن تولد، في الوقت المناسب، التحول المرتقب والمتمثل في حالة الكمال الخارق. وفي هذا الصدد يعلم ماركس جيدا بأن إنشاء حكومة ماركسية، لا يعني في حد ذاته إلا مزيدا من تفاقم متاعب النظام الرأسمالي، لأقصى حد. وعلى مستوى الطبقة الدنيا المتشددة، من الماركسيين المتأخرين، وعلى وجه الخصوص الطوباويين المعاصرين، نلاحظ تراجع لهذا المفهوم، ليحل مكانه ما يشبه سحر العمل. و يتوقع التوصل إلى حالة الكمال

المسيح قبل مجيئه الثاني. التوقعات لأحداث جسيمة تأسس^١ (Metastatic) لعالم جديد يعقب العالم القديم، أصبح عامل اضطراب للواقع الاجتماعي والسياسي؛ وذلك ما دفع الكنيسة الرئيسية إلى الضغط على تلك التوجهات بنجاح متفاوت. في نهاية الأمر توقعات الأحداث الجسم (أحداث آخر الزمان)، انتقلت إلى الحركات الطائفية المتطرفة المهمشة، ولكن، منع انطلاق الحركة الإصلاحية، تحولت تلك الحركات الهامشية تدريجيا إلى وسط ساحة الأحداث، في تحول التوقعات العلمانية إلى المسيحية، لم يغير في جوهر المشكلة شيء.

في العصر الحالي، ظهر عنصر إضافي حين حل محل توقع التدخل الإلهي، عنصر التدخل البشري المباشر، وهو النظام الذي قام عليه العالم الجديد المعاصر.

١ Metastasis: هذا المصطلح يفيد لمعاني عدة : التغيير،

التحول والثورة. وقد أورد هذا المصطلح Voegelin، في كتابه "إسرائيل والوحي"، ويستخدم للتعبير عن التحولات المتوقعة الغير واقعية التي تحدث للبشر والمجتمع، أو الواقع. (مدير التحرير)

المراجعة للانحرافات التي عانت منها مفاهيم الفلسفة الكلاسيكية، على أيدي مترجمين الذين يريدون أن تكون الطبيعة البشرية عنصر ثابت. كان الفلاسفة الكلاسيكيين يدركون تماماً مشاكل القضايا الأخروية (الماورائية)، كما أشرت إليه، وكانوا على علم بأنهم يسعون في ممارسة عملية الموت، وأنهم يمارسون، من خلالها العملية المفضية إلى التخليد. التوسع في هذه التجربة بهدف فهم التاريخ يجعل معه من المستحيل وضع مفاهيم مثل طبيعة الإنسان، في إطار حقائق ثابتة، وبالتالي هنا تكمن صعوبة فهم المشكلة. وهذا لا يعني أن طبيعة الإنسان يمكن أن تتحول عبر التاريخ، ولكن يمكن لتلك الطبيعة أن تصبح "نورانية"، أي أن تدرك الحقيقة إدراكاً كلياً وشاملاً، في بعديها الدنيوي والمصير الأخروي (الماورائي).



بالرغم من أن عملية الإدراك للطبيعة النورانية تلك، تساعد على فهم الطبيعة البشرية ومشكلاتها، وبدون أن تأثر تلك العملية أي شيء في جوهر الطبيعة البشرية، في اللحظة الآنية المكاني الزماني. أما الإدراك الماورائي المتوقع، هو عنصر منظم للواقع. كما يمكن من فهم أفضل للواقع الإنساني، - حيث يعطي فهم أفضل للواقع الإنساني، - الذي يرمز إلى المسافر، بالمفهوم المسيحي، والمتجه نحو الهدف الكمال الماورائي (الأخروي)، عبر ترحال لا يتوقف في هذا العالم.

فإن هذه الرغبة للطبيعة البشرية نحو الآخرة، وبكل أبعادها الشخصية والمجتمعية والتاريخية، لا يمثل مجرد فكرة نظرية، بل هي قبل كل شيء آخر، ممارسة

الأخروي، حسب الفلسفة المركسية، من خلال عملية العنف المباشر، كما أن تجربة حركة الواقع المتجاوزة لطاره، قد تحولت إلى ما يشبه ابتزاز سحري دفع إلى التدمير العدواني للنظام الاجتماعي نفسه.

ورغم تعرض هذه التجربة لتحولات ابتزازية، إلا أنها تبقى حقيقية ونشطة، بدليل الأثر المحفز المستمر والجلي لهذه التجربة، حتى في حالة الانحرافات. وبالتالي، على فلسفة التاريخ أن تدرك بأن عملية التاريخ ليست ثابتة، بل هي تطور مستمر - في حالة بينية^٢ (In-between) بين الواقع الدنيوي (المادي) والماورائي (الأخروي). وعلاوة على ذلك، هذه التجربة، ليست مجرد حركة عبر فترات زمنية لامتناهية، ولكن يمكن وصفها بحركة متجهة لنهاية ماورائية (الأخروي)، تتراوح بين واقعين الدنيوي والماورائي. وفي النهاية الأمر لا يمكن لأي فلسفة تاريخية التعامل مع قضايا التاريخية بجدارة، ما لم تقر بالصفة المارائية (الأخروية) لهذه العملية.

إن مفهوم الحركة الماورائية (الأخروية) تتطلب

٢ In-Between: هذا المصطلح يشير إلى التجربة الفردية

المتتملة في تجاذب يقع في النفس البشرية، ما بين التوجه نحو العالم الدنيوي (المادي) و العالم الأخروي (الماورائي)، أو بين الطبيعة البشرية الفانية، والإلهية. (مدير التحرير)

٣ Luminous: حسب فوجلين، ينقسم الوعي إلى ثلاث

أقسام: الواعي القصدي، وهو المتجه نحو الماديات، والوعي التأملي، المتعلق بوعي المرأ بنفسه وحركته عبر التاريخ، والوعي المضيء، والذي يقترب من التجربة الصوفية حيث يصبح الوعي جزءاً من الواقع الكلي، في بعديه الدنيوي (المادي) والأخروي (الماورائي). (مدير التحرير)

وتلك بالتأكيد هي مهمة شاقة، إذا أخذنا بعين الاعتبار العدد الهائل من المواد التاريخية التي ظهرت في العصر الحديث.

وبالتالي، نتيجة هذه المعطيات بدأت تشكل صورة جديدة عن التاريخ. وتكمن مهمة الفيلسوف هنا، في اختراق الذهني للمصادر ثم تقديم النتائج التحليلية للجمهور العام، بما فيهم أساتذة الجامعات وطلبتها. وتلك الأعمال التي ينفذها الفيلسوف، إبتدأ من تحليل المواد، وإبصال لنتائج تلك التحليلات، وكذلك الإجراءات المحددة التي يقوم بها، هي تحديداً تجسيد لمشاركة الفيلسوف في حركة التاريخية المتجهة للهدفي الأسمى الماورائي (الأخروي)، وهوما يتفق تماماً مع المنهج الأفلاطوني-أرسطي في عملية ممارسة الموت.

عملية، وهذا كما اسلفنا، ما أدركه أفلاطون وأرسطو، بأن الفلسفة، تهدف لعملية تسعى للتخليد في هذا العالم.

إن تلك العملية لم تنتهي مع أفلاطون وأرسطو، بل تتواصل إلى يومنا هذا، وإن كانت بشكل أدق، حيث يلجأ الفيلسوف إلى معالجة القضايا المحددة التي تواجهه، وبأسلوب محدد ملموس . بينما تتعامل الفلاسفة الكلاسيكيون مع الصعوبات الناتجة عن أسطورة الموت وعدوانية الفلسفة السفسطائية النشطة، فإن فيلسوف القرن العشرين، عليه أن يواجه التحدي المعاصر المتمثل في ظاهرة "مناخ الرأي"، حسب تسمية واتهيد.

وعلاوة على ذلك، على الفيلسوف، ضمن تلك الممارسة العملية، استيعاب التقدم الهائل الذي حدث في العلوم الطبيعية والتاريخية، وتسخيره لفهم الواقع.

